

تنبيه الخلف

على

اتباع السلف

تأليف

أبي محمد إدريس الزبير التُّنْغَاوِي

مدير مركز دار التكريم للثقافة العربية والإسلامية

كيفي، ولاية نصراوا - نيجيريا

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م.

ب

تتبييه الخلف على اتبـاع السلف
إعداد: أبي محمد التنغوي: إدريس الزبير بن إسحاق الكنمي

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

E-Mail: attungaaweey@gmail.com.

PHONE : 08060980948, 08085559589.

الطباعة:

مكتبة دار التكرم للطباعة والنشر، خلف مدرسة الإيمان كفي،
ولاية نصراوا - نيجيريا.

تصميم الغلاف:

أبو محمد التنغوي

08060980948, 09053126410.

ج

تنبيهه الخالف على اتبــــــــــــــــاع الســــــــــــــــلف
إعداد: أبي محمد التنغوي: إدريس الزبير بن إسحاق الكنمي

©Idris Zubairu Attungaaweey, 2023

All rights reserved.

No part or whole of this book is allowed to be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, without prior permission of the Copyright owner.

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

ISBN:

978-978-60183-5-5

Published and Printed by
Darit -Takrim Press, Keffi,
Nasarawa State, Nigeria

تنبيه الخلف على اتباع السلف
إعداد: أبي محمد التنغاوي: إدريس الزبير بن إسحاق الكنمي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.
قال الفقير إلى مولاه الغني - إدريس الزبير بن
إسحاق بن موسى بن محمد التنغاوي الكنمي
السلفي:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه،
والصلاة والسلام على من تلقى القرآن من
لدى حكيم عليم وآخر النبيين وقائد الغر
المجملين وعلى آله وصحابته وتابعيهم وسلم

تسليماً كثيراً. سبحانك اللهم لا علم لنا إلا
ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، رب
اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة
من لساني يفقهوا قولي.

أما بعد: فمن أهم ما قام به الإنسان
نحو ربه - بعد أن تمتع هو بنعمة الإسلام -
الدعوة إلى الله وإعلاء كلمته، وإحياء سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما عُرف
علماء أهل السنة والجماعة إلا بالدعوة إلى
الله وإعلاء سنة رسوله الكريم، وإماتة البدعة
قولا وعملا، فإنهم جاهدوا في سبيل الله

بأموالهم وأنفسهم ، ثم أعملوا - في الوقت
نفسه - ألسنتهم وأقلامهم في ذلك، وتركوا لنا
آثارا فاخرة، فنحن الخلف بعد السلف، وإن
فاتنا أن ندرك شأوهم؛ لكوننا في زمان كثرت
فيه الأهواء وحب الملذات، وغير ذلك من
الأمور الشاغلة، التي تحول بيننا وبين شأوهم،
ولا تساعدنا الفرص أن نعمل ما عملوا،
فعسى الله - المدبر للأمر - أن يرحمنا ويعيننا
على إحياء بعض ما تركوه لنا وللمسلمين.

بقيت نفسي تتشوّف إلى كتابة رسالة
وجيزة قيّمة التي تحمل في طياتها أحوال

القدماء من العلماء؛ ليكون تذكرة لعلماء
زماننا. فجعلتُ أقدم رجلا وأؤخر أخرى؛
علمًا بأني لستُ أهلاً لذلك، وأن أحدا ممن
تتجارى بهم الأهواء وصاحب منظار الأسود
تحمله البغضاء على أن يظن بي ظن السوء،
ويجعلني من الذين يطلبون مثالب العلماء. ثم
بدا لي بعد طول التفكير أن أخرجاً لكتابة
الرسالة، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

وأعوذ بالله أن أكون ممن يقصد بكتابه
عيوب العلماء، وقد قال عليه الصلاة
والسلام: "إن الله تعالى قال: من عادى لي

وليا فقد آذنته بالحرب". وقال النووي في كتابه (التبيان) : ((قال الإمامان الجليلان أبو حنيفة والشافعي: إن لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله وليّ، وذكره في شرح المهذب بلفظ : إن لم يكن الفقهاء...إلخ)). اهـ.
وقال الإمام أبو القاسم بن عساكر رحمه الله: ((اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته ويجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وإن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت

القلب)). اهـ.

هذا.. فالعالم بهذا لا يتجرأ على أن يقع
في حومهم، أو يطلق لسانه فيهم، وإنما ذلك
من باب تنبيه الخلف من العلماء على اتباع
السلف منهم، ولا أدعي أفضلية الفهم والعلم
في شيء من الأشياء على إخوان المسلمين،
وإنما هذا كله تنبيه بحسب ما يبدو لي من
فهمني الفاتر وعلمي القاصر اللذان يستحيا
من تسميتهما فهما وعلما.

هذا، أعاني الله على تحريره وتهذيبه
وترتيبه، ووفقني لإكماله، إنه خير معين.

وسميت الكتاب بـ"تنبيه الخلف على
اتباع السلف". والله المستعان، وعليه
التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم.

كتبه: الفقير إلى ربه الغفور
أبو محمد التنغاوي السلفي.
مدينة جوس حرسها الله تعالى
رمضان / ١٤٢٢ هـ.

الفصل الأول

في طريقة التعلم

واعلم - وفقني الله وإياك - أن طريقة
التعلم عند القدماء تختلف عن طريقنا اليوم
حيث إنهم كانوا يبدؤون بالأهم ثم الأهم،
أي - لا يتصدرون لتعلم أي علم إلا بعد
تعلّمهم القرآن - لأنه هو الأصل وباقي العلوم
خدم له، قال ابن خلدون في مقدمته: "أما
أهل الغرب - أي المغرب العربي - فمذهبهم
الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم
أثناء المدارس بالرسم ومسائله واختلاف حملة

القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء
من مجالس تعليمهم، لا من حديث وفقه
وشعر، ولا من كلام العرب إلى أن يجاوزوا
البلوغ إلى الشبيبة". وهي طريقة قريبة إلى
طريقة غرب إفريقية بتغيير يسير. وذلك أنهم
لا يخلطون القرآن بشيء من العلوم، بل
يقدمون على استظهاره حفظاً، أو استطراده
سرداً والاكتفاء بحفظ بعض السور القصار
لتأدية الصلاة المفروضة.

المهم أن القدماء منذ قرون الفاضلة ومن
نحج نهم كانوا يحفظون القرآن عن ظهر

القلب قبل أن يخوضوا في غيره من العلوم الشرعية، كما قال ابن مسعود- رضي الله عنه- "وكانوا لا يعلمون أبنائهم الحديث والفقهاء إلا بعد أن يحفظوا القرآن ويأمرهم أن يصلوا به، فإذا ختموه في الصلاة ثم يبدؤون بالحديث...". ولذلك كثر في زمنهم من يحفظ القرآن قبل البلوغ، ويقومون به آناء الليل ساجدين قائمين يتغنون فضلاً من الله ورضواناً. المهم من المعروف عند السلف أن يبدأ ولي الصبي بتعليمه القرآن قبل البلوغ، فيقرؤه كله إلا أن يعسر عليه حفظه كله،

فيقرأ ما تيسر منه، ويقدم المكلف العلم
بأحكام الشريعة بعد القراءة الواجبة.

أما علماؤنا اليوم- إلا من رحم الله-
يسارعون إلى أمهات الكتب، وليس في
جيوبهم وأجوافهم شيء من القرآن إلا ما
يكفي تأدية الصلاة المفروضة. وكثر فيهم
علماء لا علم لهم. وصدق الرسول صلى الله
عليه وسلم القائل: ((إن الله لا يقبض العلم
انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم
بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ
الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير

علم، فضلوا وأضلوا)) متفق عليه. ولا يقرؤون
الكتاب من غلاف إلى غلاف كسابقهم بل
يكتفون ببعض المواضع ويشغلون بجمع
الكتب في مكتباتهم ولا يطالعون فيها-
وقليل ما هم- اللهم أنقذنا من هذه الكارثة
وارزقنا اتباع السلف الصالح بفضلك وكرمك
يا أكرم الأكرمين، آمين يا رب العالمين.

الفصل الثاني

في طريقة نشر العلم

واعلم أن طريقة نشر العلم عند القدماء هي أن يخصص الشيخ في بيته مكاناً واسعاً يلتقي فيه مع تلاميذه كل يوم بالدورات التي لا تقل عن نصف ساعة لكل تلميذ.

وذلك بأن يجلس الشيخ على منبر - إن كان في المسجد - أو مكان مرتفع قدر شبر فيدخل كل تلميذ مع كتبه ليقرأ منها والشيخ يفسر له كل كلمة وهو يستمع ويعي، فإذا سبقه شريك له انتظر دوره واستمع إلى درس

زميله والتقط من دروسه فوائد يضيفها إلى دروسه الخاصة. ومن الشيوخ من يجلس للدرس من الصباح إلى الظهر، ثم ينصرف إلى عمله لكسب المعيشة. ومنهم من يستمرّ في التدريس حتى الغروب، ولا يقوم إلا للصلاة والغذاء والضروريات الأخرى.

وإذا جاء رمضان وقفوا عن التدريس واشتغلوا بتفسير القرآن في المساجد وبعض أماكن المهمة، وبعضهم يترك بلده إلى بلد مجاورة لتفسير القرآن طول شهر رمضان، ولا يعودون إلا قبل يوم الفطر بيومين أو ثلاثة

أيام، وكانوا يدرسون أبناءهم وبناتهم امثالاً
 بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا
 أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة
 عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما
 أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾.

وأما علماء زماننا فكانوا ينشرون العلم
 في المدارس الحكومية أمام تلاميذهم في فصل
 واحد في مدة لا تقل عن نصف ساعة في
 بعض المدارس وساعة في بعضها، فإذا تمَّ
 الوقت خرج من حينه وناب منابه مدرسٌ
 آخر وذهب هو إلى فصل آخر. وكثير

منهم- إلا من رحم الله- لا يدرّسون أبناءهم
وبنائهم، بل يجعلونهم في المدارس التي يدرّسون
فيها أو غيرها، فتراهم من هذه البلدة إلى
تلك يعظون الناس، وأولادهم في غمرة
ساهون! ويهتمّون بالوعظ في الجماعة
والمساجد ولا يشتغلون بالتدريس في بيوتهم
علمًا منهم بأنفسهم، ويعتذرون بكثرة
الشواغل والعوارض، والحال إنما معهم بضاعة
مزجاة، ويريدون أن يحمدا بما لم يفعلوا،
وكأنهم لم يقرؤوا قول الله تعالى: ﴿أَتأمرون
الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون

الكتاب أفلا تعقلون ﴿١﴾. فيا علماءنا ! اعلموا
أن التدريس والاشتغال بالوعظ مع إهمال
الأهل والعشيرة في الجهل مظانة للرياء وطلب
الشهرة، وهو فرض كفاية، ولاسيما في زمننا
هذا لوجود من يقوم به دونك، وأما تعليم
الأولاد والأزواج فهو فرض عين، لذا فهو إذاً
مقدم على الوعظ والإرشاد في محافل
الجماعة.

يا علماء زماننا! علّموا أولادكم
ونساءكم وعلموهم ما لهم وما عليهم! دعونا
من كثرة كلامكم عن المسائل الخلافية

وتشتيت كلمة المسلمين والاشتغال بجمع
الناس، بل عليكم باتباع السلف والمشي على
منوالهم ولا تكونوا من المشركين من الذين
فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم
فرحون.

يا علماء زماننا ! لماذا نشاهد بعضكم
لا يعرفون كثيرا من الكتب الموجودة ؟ وليسوا
أهلا للتدريس ولا للوعظ، ولكن عمموا
رؤوسهم بالعمامة ؟! ويكرهون الحق كراهية
المؤمن للمعصية، ويحيون البدعة باسم السنة
والسنة باسم البدعة ؟! ولا ندري أجهلا

منهم بالسنة أم تعصبا على ضلالتهم؟! أم
على قلوب أقفالها?!؟! وإذا جاءهم ما لم
يعرفوا قالوا بدعة؟ ولو رده إلى الرسول وإلى
أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم، فإني أحذر هؤلاء الصنف من أذعياء
العلم أن يعودوا إلى رشدهم وحقيقتهم، وإن
لم ينتهوا عما يتقولونه على الله وعلى رسوله
باسم أهل العلم ليمسّن الذين أصرّوا منهم
عذاب أليم في الآخرة، وخزي فاضح في
الدنيا قبل الآخرة.

يا علماء نيجيريا! لماذا نرى بأم أعيننا

ترسلون أولادكم إلى المدارس الإنجليزية قبل
معرفتهم القرآن؟ وهل سبق الخير إلى القلب
أولى من سبق الشر إليه أم العكس؟! أو ما
قرأتم مقدمة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني أم
كنتم عنها غافلين؟ وكثيرا ما نسمع من
بعضكم يقولون إنهم يرسلونهم إلى المدارس
الإنجليزية، لكي ينجوا من مكائد الكفار،
ولتكون شؤون الدولة على أيدي المسلمين،
وليكونوا دافعين عن دينهم وأنفسهم. يقولون
بأفواههم ما ليس في قلوبهم، ولم نر منهم من
صدق في دعواه، بل كل تابع قصده وهواه،

إلا قليل منهم وذلك بفضل ما علموا من
القرآن والسنة قبل معرفتهم الإنجليزية. ومما لا
ينتطح فيه عنزان أن من لا سبق له بالقرآن
وأحكامه فلا يجدي للإسلام إلا ضراً. والله
على ما نقول وكيل، وهو حسبنا ونعم
الوكيل. تنبهوا يا أصحاب العقول، ولا تتبعوا
ما يمنعكم الوصول.

ويا شيوخنا أذكركم بقول ابن القيم:
فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى،
فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد
إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم

لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه،
فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم
ينفعوا آباءهم كبارا، كما عاتب بعضهم ولده
على العقوق، فقال: يا أبت إنك عقتني
صغيرا، فعقتك كبيرا، وأضعتني وليدا
فأضعتك شيخا.

قلت: والمراد بقوله: (ما ينفعه) هو ما
فسره بقوله: (فرائض الدين وسننه)، فتأمل
فإنه مهم. اللهم ارزقنا اتباع السلف الصالح
بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين. وصلى
الله على النبي الكريم. (آمين يا رب العالمين).

الفصل الثالث

في اتباع السنة

واعلم - وفقني الله وإياك - أن الصحابة
ومن بعدهم من السلف الصالح لم يكونوا
ليخالفوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا
مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم
الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد
ضل ضلالاً مبيناً﴾ وقوله تعالى: ﴿قل إن
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر
لكم﴾ وقوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد

أطاع الله ﷻ وغيرها من الآيات الدالة على
وجوب اتباع الرسول والسنة معا. وقوله صلى
الله عليه وسلم في حديث العرباض بن سارية
الذي رواه أبو داود وغيره: "فعلیکم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها
بالنواجذ" الحديث. وقوله: "من تمسك بسنتي
عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد" [رواه
البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه] وغيرها
من الأحاديث الدالة على فضل اتباع السنة.
ولهذا كان للقدماء آثار أكثر من أن تحصى
في اقتفاء السنة! منها:

١ - ما روى الإمام أحمد عن مجاهد

قال: كنا مع ابن عمر رضي الله عنه في سفر
فمر بمكان فحاد عنه، فسئل لم فعلت ذلك؟
قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعل هذا ففعلت".

٢ - وروى البزار بإسناد لا بأس به أنه

(أي عبد الله بن عمر) كان يأتي شجرة بين
مكة والمدينة فيقبل تحتها (أي نوم النهار)
ويخبر أن رسول صلى الله عليه وسلم كان
يفعل ذلك. وفي رواية ابن خزيمة عن زيد بن
أسلم قال: رأيت ابن عمر يصلي محلولاً

إزاره، فسألته عن ذلك فقال: رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يفعله.

٣ - وأخرج البخاري عن عابس بن أبي

ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب (رضي الله
عنه) يقبل الحجر - يعني الأسود - ويقول:
إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا
أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبلك ما قبلتك!.

فمن تأمل قول ابن عمر رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا ففعلت،
وقول أبيه للحجر الأسود لولا أنني رأيت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما
قبلتك، تبين له (وضوح الشمس في كبد
السماء وفي رابعة النهار أيام الصيف) أن
الواجب على المسلم أن يفعل كل ما عرف
أن الرسول صلى الله عليه وسلم فعله، أو
فعله هكذا فعله كذلك لا يبغى به بدلا ولا
عنه حولا، في شيء دق أو جل.

٤ - وقال علي (رضي الله عنه): "ما
كنت لأدع سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقول أحد" [رواه البخاري في اختلاف
علي وعثمان في المتعة].

وانظر يا أخي القارئ إلى ترك الصحابة
أقوالهم وأقوال أكابرهم عند بلوغ الحديث،
منها:

٥ - لما قدم عمر رضي الله عنه سرغ
(مكان قرب الشام) وبلغه: أن الطاعون في
الشام، استشار المهاجرين الأولين الذين معه
ثم الأنصار، ثم مسلمي الفتح فأشار كلُّ عليه
بما رأى، ولم يخبر أحدٌ بالسنة حتى قدم عبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنه فأخبر بسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعون،
وأنه قال: "إذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا

تخرجوا فراراً منه، وإذا سمعتم به بأرض فلا
تقدموا عليه". فعملوا بالسنة وتركوا آرائهم.

٦ - وأن عثمان بن عفان رجع عن رأيه
إلى حديث الفريعة بنت مالك أخت أبي
سعيد الخدري رضي الله عنهما، أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لها: "امكثي في
بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله" [رواه
الترمذي]. ولم يكن لعثمان علم بأن المتوفى
عنها زوجها تعتدّ في بيت الموت.

٧ - ورُدّ قول ابن عباس بأن المتوفى
عنها إذا كانت حاملاً تعتدّ بأبعد الأجلين

بحديث سبيعة الأسلمية رضي الله عنها، وقد توفي عنها زوجها (سعد بن خولة) حيث أفتى النبي صلى الله عليه وسلم "بأن عدتها وضع حملها". [رواه البخاري ومسلم]. وغير ذلك من أقوال الصحابة مما يدل على اتباعهم للسنة.

٨ - وقال ابن عباس لرجل سأله عن مسألة، فأجابه فيها بحديث، فقال له: قال أبو بكر وعمر. فقال ابن عباس: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء! أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال

أبو بكر وعمر؟".

هؤلاء هم الصحابة رضوان الله عليهم
أجمعين، وإذا رجعنا إلى الأئمة فإننا نجدهم
خير خلف لخير سلف، وذلك لأنهم سلكوا
سبيل سلفهم في اتباع السنة واقتفاء آثار
أهلها، فمن أقوالهم المشهورة في ذلك ما
يأتي:

١ - وفي كتاب (رفع الملام عن من رفع
وقبض اقتداء بسيد الأنام) قال نقلا في
(روضة العلوم السندسية) من كتب الحنفية ما
نصه: قيل لأبي حنيفة رحمه الله تعالى: إذا

قلتَ قولاً وكتابَ الله يخالفه؟ قال: "اتركوا
قولي لكتاب الله"، فقليل إذا كان خبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخالفه؟ فقال:
"اتركوه لخبر رسول الله" فقليل له إذا كان قول
الصحابي يخالفه؟ فقال "اتركوه لقول
الصحابي".

٢ - قال إمامنا مالك رحمه الله كما رواه
الحافظ ابن عبد البر بسنده إلى معن بن
عيسى قال سمعت مالكا يقول: "إنما أنا بشر
أخطأ وأصيب، فانظروا في رأيي، فما وافق
الكتاب والسنة منه فخذوه وما لم يوافقهما

فاتركوه".

قال ابن المهدي: فقد علم أن كل ما
خالف الكتاب والسنة من آراء مالك فليس
بمذهب له بل مذهبه ما وافق الكتاب
والسنة، كما هو مذهب الشافعي، والله تعالى
أعلم.

٣ - وقال الشافعي رحمه الله: "أجمع
الناس على أن من استبان له سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم، لم يكن له أن يدعها
لقول أحد".

انظر وتأمل يا أخي إلى ما نحن فيه

اليوم! كم من سنةٍ تركتُ لِقول من لا علم له
إلا مجرد اتباع الهوى؟! عصمنا الله وإياك من

ترك السنة لِقول صحابي فضلا عن غيره.

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: كل
مسألة صح فيها الخبر عن الرسول صلى الله
عليه وسلم عند أهل النقل بخلاف ما قلتُ
فأنا راجع عنها في حياتي وبعدها.

٤ - وقال الإمام أحمد: "كان أحسن
أمر الشافعي عندي أنه كان إذا سمع الخبر لم
يكن عنده قال به وترك قوله".

قال التنغاوي: ففي هذا كفاية لأصحاب

البصيرة، في بلوغ الصحابة أقصى الغاية في
اتباع السنة، وكذلك من سار على نهجهم
من التابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا.
وأما علماء زماننا، فقد أعرضوا عن
السنة كل إعراض ونبذوها وراء ظهورهم
كأنهم لا يعلمون، واستمروا في إعراضهم
يعمهمون. فإذا جاءهم حديث صحيح قالوا:
نحن أعلم بإسناده وأيقنا بصحته ولكن لا
يوافق مذهبنا. وتارة يقولون: إن الناس إن
سمعوه يختلفون فتركه أولى. وإذا قلت لهم: إن
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب

أن يتبعها الناس، قالوا لك: أنت أعلم من الإمام مالك؟ أو غيره من الأئمة؟ فإن أجبت بـ "لا"، قالوا: إذاً عرفوا هذا الحديث ولكن لم يعملوا به.

فهذا قول فارغ! سبحانك هذا بهتان عظيم، يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين! كيف يرضى العالم أن أحداً من الأئمة رأى سنة صحيحة من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يعمل بها؟ ويكون عدم عمله حجة لمن بعده؟ أهو المصحح لرسول الله صلى الله عليه وسلم

!!!؟ فاعتبروا يا أولى الأبصار!. وإذا وجد
لواحد من الأئمة أو ممن قبلهم من الصحابة
قولٌ قد جاء حديث صحيح بخلافه، فلا بد
له من عذر في تركه، وهي لا تخرج عن ثلاثة
أصناف كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية
رحمه الله تعالى:

أحدها: عدم اعتقاده أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قاله.

والثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك
القول.

والثالث: اعتقاد نسخ ذلك الحكم.

وهذه الأصناف الثلاثة تتفرع إلى أسباب
متعددة. فمن أراد زيادة البيان فعليه بكتاب
(رفع الملام عن الأئمة الأعلام) لشيخ
الإسلام ابن تيمية.

وطورا يقولون لك إذا جئتهم بحديث
يخالف ما هم عليه: إمامنا وعلمائنا أعلم
بهذا الحديث منك، ويقولون ما من حديث
إلا وإمامنا قد حفظه وعرف ما له وما عليه،
ونحن نقول لهم: كلاً! ثم كلاً!! ثم كلاً!! فإنّ
الإحاطة بحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم تكن لأحد من الأئمة، ولا لأحد

من الصحابة قبلهم.

ومما يدل على صدق ما قلنا أعلاه، قول
إمامنا مالك رحمه الله، لما استشاره هارون
الرشيد في أنه يحمل الناس على ما في الموطأ
فمنعه الإمام من ذلك وقال له: قد تفرق
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في
البلاد وصار عند كل قوم من الأحاديث ما
ليس عند الآخرين.

انظر يا أخي القارئ وتأمل، أين هذا
القول من قولهم: علم كل الأحاديث؟ أنتم
أعلم به أم هو أعلم بنفسه منكم؟ اتقوا الله

ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم.

وأما قولهم: هذا الحديث لا يوافق

مذهبنا فأقول: قال الشيخ ابن فودي في كتابه

(هداية الطلاب): أودعت فيها عشرة أشياء:

أولاً: أن جميع ما جاء عن الشارع عليه

الصلاة والسلام، لا يسمى مذهبا لأحد بل

هو شريعة تجب إجابة كل من دعا إليه.

ثانياً: أن الله تعالى لم يوجب على أحد

في كتابه ولا رسوله في سنته، التزام مذهب

من مذاهب المجتهدين بخصوصه، ولم يبلغنا أن

أحداً من علماء السلف أمر أحداً أن يقلد

بمذهب معين، ولو وقع ذلك لأوقعوا في الإثم
لتفويتهم العمل بكل حديث لم يأخذ به
ذلك المجتهد الذي أمر باتباعه وحده، إلى أن
قال:

خامساً: أن كل واحد من المجتهدين لا
يتبع قوله إذا خالف نص الكتاب أو نص
السنة أو الإجماع. انتهى.

وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه:
"السنة ما سنه الله ورسوله صلى الله عليه
وسلم ولا تجعلوا خطأ الرأي سنة الأمة".

وقال صاحب الإيقاظ: "ولقد صدق

سندُ (رحمه الله) فيما ذكره من ذم التقليد
للشخص المعين واتخاذ رأيه ديناً ومذهباً، ولو
خالف نص الكتاب المبين والسنة ولا شك
في كون هذا بدعة مدمومة وخطة شنيعة
احتال بها إبليس اللعين على تفريق جماعة
المسلمين وتشتيت شملهم وإيقاع العداوة
والبغضاء بينهم، فترى كل واحد منهم يُعظّم
إمامه المجتهد تعظيماً لا يبلغ به أحداً من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فإذا وجد حديثاً يوافق مذهبه فرح به وانقاد
وسلم، وإن وجد حديثاً صحيحاً سالماً من

النسخ والمعارض مؤيدا لغير مذهبه أمامه فتح
له باب الاحتمالات البعيدة وضرب عنه
الصفح والعرض، ويلتمس لمذهب إمامه
أوجها من الترجيح مع مخالفته للصحابة
والتابعين والنص الصريح " ١ هـ.

وقد كثر هذا النوع من التقليد في بلادنا
نيجيريا بعد ظهور السنة وارتفاع أسواقها،
وأصبح من ينتسب إلى السنة ويُنسب إليها
يدعوا إلى التمدد لغرض إجماع الناس،
فالحذر الحذر أيها العلماء من التلاعب
بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم باسم

السنة؛ إذ لا يمكن جمع الماء والنار في كوب
واحد! وألا تجمعوا في دعواكم بين إزالة
البدعة وإماتة السنة! بل كونوا كما عرفكم
الناس أول مرة، ولا تتردوا على أديباركم
فتنقلبوا خاسرين.

واعلموا أن خير القرون لم يتمذهبوا
بمذهب معين، ولم يُعرفوا بشيء سوى السنة
وإحيائها، عليكم يا علمائنا باتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم طوعا وكرها. وإن
تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ
المبين. واصبروا على السنة وما كان يلاقيكم

في إحيائها من الأذى، إن العاقبة للمتقين،
 ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم
 مؤمنين. إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى
 الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا. اسمعوا
 وأطيعوا أيها العلماء كما نسمع منكم
 ونطيع، فإن الدين النصيحة.

يا إخواني! ليس غرضي في هذه الرسالة
 ذم علماء زماننا، ولكن ذكرى لعلمهم يتقون،
 ومن باب النصيحة، ولأن الذي يأمر
 بالمعروف وينهى عن المنكر، يفرح هو إذا أمر
 بالمعروف أو نُهي عن المنكر. قال تعالى: ((يا

أيها النبي اتق الله...)) أمر الله تعالى - في
هذه الآية - نبيه بالتقوى بعد أن كان تقياً،
وقال أيضاً: ((يا أيها الذين آمنوا آمنوا
بالله...)) انظروا وتأملوا بالإنصاف أيها
الإخوة، ناداهم باسم الإيمان وأمرهم
بالإيمان. وقد نهانا رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن نتبع عورات إخواننا، فكيف
علمائنا؟ ولكن الذكرى تنفع المؤمنين. اللهم
اجعلنا ممن تنفعهم الذكرى، ولا تجعلنا ممن
أعرض عنها واتبع هواه بفضلك وكرمك يا
أكرم الأكرمين ويا رب العالمين، وارزقنا اتباع

تنبيه الخلف على اتباع السلف
إعداد: أبي محمد التنغوي: إدريس الزبير بن إسحاق الكنمي

السلف الصالح. آمين يا الله، وصلى الله على
النبي الكريم. الحمد لله.

الخاتمة

وبعد...

فلم يكن مرادنا هنا - كما أسلفنا -
ذكر مثالب العلماء، وتنقيص شأنهم، وإنما
تعرضنا في هذه الورقات لذكر ما نرى من
أحوال بعض من ينتسبون للعلم وأهله، وبيان
ما لهم من الأخلاق التي قد لا تليق بالعلم
وأهله، لا سيما سلفنا الصالح، وذلك بياناً
وتنبيهاً لطلبة الحق السائرين على الدرب.

وأختم هذه الورقات بأن أذكر نفسي

وإخواني طلبة العلم والحق بإشارات وعلامات
يهتدي بها الساري في إدلاجته وسط فتن
وأهواء وظلمات متشابكة، ذكرى ❀ فإن
الذكرى تنفع المؤمنين ❀.

أولاً: إياك والهوى..

يقول ابن دقيق العيد في الأمور المهلكة
التي تُدخل الآفة: (أحدها: الهوى، وهو
شرّها، وهو في تاريخ المتأخرين كثير) اهـ.

فعلى طالب الحق أن يتجرّد لطلب الحق وألا
يتبع الهوى، قال تعالى: ❀ ولا تتبع الهوى

فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلّون عن
سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب ﴿ص: ٢٦﴾. فإن الهوى طاغوت
من الطواغيت التي يتابعها أكثر الناس، ولن
تُمسك بالعروة الوثقى حق التمسك وتلحق
بالدرب، حتى تستسلم لله ولحكمه وحده
استسلاماً مطلقاً وتكفر بكل الطواغيت،
ومن ذلك طاغوت الهوى هذا، قال تعالى:
﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه
وكيلاً * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو
يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل

سبيلاً ﴿﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]. وقال تعالى:

﴿أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على

علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره

غشاوة فمَّن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفْلَا

تذكرون ﴿﴾ [الجناتية: ٢٣].

فاحذر من هذا الطاغوت واجتنبه كما

تجنب الطواغيت الأخرى لتحقيق التوحيد

الذي هو حق الله على العبيد تحقيقاً كاملاً..

وتأمل صفات عبيده الهلكي المتساقطين على

عتباته في الآيات المذكورة، وما عاقبهم الله

به من الختم على القلوب والأسماع والغشاوة
على الأبصار فأمسوا أضل من الأنعام، لا
يرفعون بالأدلة والبيئات رأساً فلا يعتبرون بها
ولا يهتدون أو يتذكرون، فتلاعب بهم
الطاغوت بشبهه كيف شاء، وتجارى بهم كما
يتجارى الكلب بصاحبه، واحمد إلهك على
نعمة الهداية للحق والتوحيد، وابك وتضرع
إليه أن يثبتك عليه ويختم لك به. واجعل
لقلبك مقلتين كلاهما * من خشية الرحمن
باكيتان

لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم * فالقلب

بين أصابع الرحمن

وتذكر قول الله تعالى: ﴿وإن تصبروا
وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما
يعملون محيط﴾ [آل عمران: ١٢٠]. وقوله
تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا
وعلى ربهم يتوكلون* إنما سلطانه على الذين
يتولونه والذين هم به مشركون﴾ [النحل:
٩٩، ١٠٠].

ثانياً: الحذر من الانتصار للحزبية
والمشايخ

أو تقديم ذلك بين يدي الله ورسوله، أو
ترك كلام الله المحكم لأقوالهم ومقالاتهم، فما
دام الحق قد وضح لك بدليله، فعرض عليه
بنواجذك ولا تدعه لقول أو لرأي أحد من
الناس، وإذا ما اهتديت إلى حق في مسألة
فجاء مخالفاً لما وجدت عليه مشايخك فلا
تعارضه بكلامهم أو فعالهم، فإن كلام الخالق
لا يعارض بكلام المخلوق، وكم صدّ مثل
هذا كثيراً ممن كنا نظنهم طلبة حق عن
اللحاق بالركب، وخذلهم الشيطان بشبهات،
مثل قولهم: (هل خفي هذا على الشيخ؟)

و(لو كان حقاً لما خفي عليه) أو (كيف يقول الشيخ بخلافه؟).. فالتوفيق والترجيح وتكلف البحث عن الناسخ والمنسوخ العام والخاص أو المطلق والمقيد إنما يكون فيما يتوهم فيه التعارض من كلام الله أو كلام الرسول.. أما كلام الخلق، فقد قال تعالى:

﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [النساء: ٨٢].

فلا يصدّك عن اتباع الحق ونصرته مخالفة بعض مشايخك له، فقد كنت من قبل تتعارض وتشكل عليّ بعض أقوال المشايخ

الذين كنت أثق بهم، مع ما وضح لي من الحق في المسألة، فأتردد كثيراً وأتوقف، وهذا من العوائق التي تؤخر الركب وتعيق المسير، ولا ينبغي أن يكون مثله عائقاً عند طالب الحق.. ولا أن يطيل الوقوف عنده والتردد بسببه، فما دام الحق قد ظهر وبان بدليله من الكتاب أو السنة فما وافقه فهو مقبول، وما عارضه فمردود مطروح، وكلُّ يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم.

وإياك ومقالة أهل الجهل: (بأنَّ كلام الله لا يؤخذ بظواهره، فربما كان المراد كذا أو

كذا) و(نحن لا نستطيع فهم القرآن)، وغير ذلك مما يصعبون به ما يسره الله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ [القمر: ٢٢]. فتلك مقالات أهل الزيغ في كل مكان، يتوارثونها عن بعضهم ليعطلوا نصوص الكتاب، ويُعملوا بدلاً منها نصوص شيوخهم ومقالاتهم التي لا يوردون عليها أبداً ما يوردونه على كتاب الله من التفسيرات والعقبات.

وحقيقتها دعوة صريحة للتقليد وتعطيل

لنصوص الوحي.

ورحم الله ابن القيم إذ يقول:

جعلوا كلام شيوخهم نصّاً له الـ

إحكام موزوناً به النصانِ

وكلام رب العالمين وعبده

متشابهاً متحملاً لمعانِ

ثالثاً: احذر من التردد والتخاذل عن

اتباع الحق ونصرته لقلّة الأنصار السالكين أو

لكثرة المخالفين والمثبطين، فالجماعة ما وافق

الحق ولو كنت وحدك.. وما بالكثرة يعرف
الحق ولا بالرجال، وإنما يعرف الرجال
بالحق.. وتذكر أن النبي يأتي يوم القيامة
وليس معه من الأتباع والأنصار إلا الرجل
والرجلين.. ويأتي النبي وليس معه أحد.. وهو
نبي!!

وقد وصف رسول الله صلى الله عليه
وسلم الطائفة القائمة بأمر الله إلى قيام
الساعة بأنهم: (لا يضرهم من خالفهم ولا
من خذلهم)..

فإياك أن تتضرر بالمخالفين أو بخذلائهم
للحق ولو كانوا الأكثرين.. وتذكر بأن أول
من تسعّر بهم النار ثلاثة نفر، منهم علماء لم
ينتفعوا بعلمهم لتضييعهم شرط الإخلاص.
فلا تغتر إذن بكثرة العمائم المنحرفة عن هذا
الطريق، أعني علماء السوء الذين باعوا دينهم
للسلطان بثمن بخس دراهم معدودات،
فبايعوه وناصروه وآزروه، ولبّسوا الحق بالباطل
وأفسدوا على الناس دينهم، فما العبرة بمثل
هؤلاء، وإنما العبرة بالعلماء العاملين المتبرئين
من أهل الكفر والطغيان، فهؤلاء هم ورثة

الأنبياء، فالزم طريقهم وإن قلّوا، ولا تغتر
بالغناء فليس العجب ممن هلك كيف هلك،
وإنما العجب ممن نجا كيف نجا!!

وفي الختام: كن على ثقة بأن الحق
منتصر ولو بعد حين، وأن الدولة والرفعة
والعزة والعاقبة لا شك لأتباعه وأنصاره،
وتذكّر مقالة أبي بكر بن عياش حين قال:
(أهل السنة يموتون، ويحيا ذكّهم، وأهل
البدعة يموتون، ويموت ذكّهم، لأن أهل
السنة أحيوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه
وسلم، فكان لهم نصيب من قوله تعالى:

﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح: ٤]، وأهل
البدعة شنؤوا ما جاء به الرسول صلى الله
عليه وسلم، فكان لهم نصيب من قوله: ﴿إن
شانئك هو الأبت﴾ [الكوثر: ٣] اهـ.

فأدلج وجدّ بالمسير، ولا يعيقنك شيء
عن اللحاق بالقافلة لنصرة الحق وأهله، فما
هي إلا أيام وعند الصباح يحمد القوم
السرى.

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل
فاطر السموات والأرض أنت تحكم بين

عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، إهديني لما
اختلف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من
تشاء إلى صراط مستقيم.

ورحم الله القائل يوم قال:

قدمتُ لله ما قدمتُ من عمل

وما عليَّ بهم ذمومٍ أو شكروا

عليَّ في البحث أن أبدي غوامضه

وما عليَّ إذا لم تفهم البقرُ

الحمد لله أولاً وآخراً.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
الفصل الأول	٨
الفصل الثاني	١٣
الفصل الثالث	٢٣
الخاتمة	٤٨
الفهرست	٦٤